اعظم جرما من عصاه على بعلم. ومنه حديث ويل للجاهل مرة
وويل للعالم سبع مرات وقد صح اشد الناس عذابا يوم القيمة عالم
لم ينفعه الله بعلمه. ثم المحققون على ان العزم مواخذ به
وخالف بعضهم ونسب الى الشافعي وابن عباس من الهم
المرفوع تمسكا بقول اللغويين من ان الهم بالشئ العزم عليه
وهو مستمسك ضعيف في غاية من السقوط لان اللغوى لا ننزل
الى هذه الدقائق التي نظر اليها ارباب الحقائق ومما يويد الجمهور
حديث اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في
النار قيل ما بال المقتول قال كان حريصا على قتل صاحبه فيفيد
انه لو اراد دفعه عن نفسه لا يكون شريكا له في اثمه وكذا نقلوا
الاجماع على المواخذة باعمال القلوب كالحسد والحقد وحب
الدنيا وامثالها وعليه حمل ابن عباس قوله تعالى وان تبدوا ما في
انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله نعم العزم على الكبيرة
وان كانت السيئة فهو دون الكبيرة المعزوم عليها ولا ينافي
ما تقرر ما روى عن الحسن في الحسد وعن سفيان في سوء الظن
بالمسلم انه اذا لم يصحبه قول او فعل فهو معفو لان ذلك محمول
على ما يجده الشخص من نفسه باعتبار جبلته مع كراهته و
دفعه عن نفسه بقدر ركفته وذكر السبكي انه يواخذ بالهم
بالمعصية في حرم مكة دون غيرها وروى عن ابن مسعود موقوفا
مرة ومرفوعا اخرى قيل والموقوف اصح ونقله بعض اصحاب
احمد عنه ولعل ماخذهم قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد
بظلم نذقه من عذاب اليم. وقال بعض الصوفية انما كان العشر
اقل درجات الثواب لان الحسنة تصدر بظهور القلب والسيئة
بظهور النفس فاقل درجات ثوابها ان يصل صاحبها الى مقام
القلب الذى يتلو مقام النفس في الارتقاء / مرتبة العشرا

للاحاد

168

للاحاد في الاعداد ومن عمل سيئة فلا يكتب الا واحدة لانه لا مقام ادون
من مقام النفس فينحط اليه فبالضرورة جزاؤه في مقام النفس بالتنزيل
وهو حصول هيئتها فيها ومن هنا يعلم ان الثواب من باب الفضل فانه
يتنور استعداده ويزداد قبوله لفيض الحق فيتقوى على اضعاف ما فعل
ويكتسب بها امورا مضاعفة الى غير النهاية بازدياد القبول عند فعل
كل حسنة وزيادة الفيض عند زيادة القبول وزيادة القدرة عليها
عند زيادة الفيض الى ما لا يعلمه الا الله كما قال والله يضاعف لمن
يشاء وان العتاب من باب العدل المقتضى للمساواة ومن فعل
بالنفس اذا لم يعف عنه يجازى بالنفس والسيئة والحسنة المذكورتان
من قبيل الاعمال لا الاشخاص والا فرب سيئة من شخص تعادل
حسنة من غيره كما قال بعض العارفين حسنات الابرار سيئات
المقربين اذ سيئاتهم بوجود القلب ورب سيئة توجب حجاب
الابد كالشرك هذا وقال الطحاوى والنظر في هذا الحديث
دليل على ان الحفظة يكتبون اعمال القلوب خلافا لمن قال انها لا يكتب
الا الاعمال الظاهرة انتهى وفيه نظر اذ ليس في الحديث تصريح
بان الحفظة يكتبونها رواه البخارى ومسلم في صحيحيهما
اى جامعيهما بهذه الحروف اى بهذه الالفاظ المنقولة عنهما
بعينها الا انه رواية بالمعنى لما فيها وفي رواية لمسلم بعد واحدة
او محاها الله ولا يهلك على الله الا هالك وتوضيح ما قال
ابن مسعود ويل لمن غلبت آحاده عشراته وجاء مرفوعا
هلك من غلب واحده عشرا فانظر هي من النظر بمعنى اعمال
الفكر ومزيد التدبر اى فتامل واعتبر يا اخى اى في الدين
وهو نداء تعطف وشفقة وتلطف وفقنى الله اى اقدرني الله
على الطاعة بخلق قدرتها فيّ واياك وبدا بنفسه
لقوله تعالى حكاية عن انبيائه وتعليما لاصفيائه.

ان النفس مطية للقلب في بعض الاحوال التي تختلف في الحالين فاذا كانت مطية للقلب كانت حظوظها اللذات الحيوانية مثلا من المأكول والمشروب فاذا صارت مطية للروح لنظر حظوظها فصارت الحظوظ حينئذ الجاه والاستعلاء والتقدم على الاقران والاضراب والتفاوت والتفاخر والعلو وتفاوت النظر الروح في اللطافة والكثافة